العرب
الجمعة 2020/03/27
السنة 42 العدد 11659

حين بدأ المسرح الغربي يعيش «العقم» فتح نوافذه على الشرق

الناقد المسرحي المغربي خالد أمين يدعو إلى مثاقفة مسرحية تلغي الفوارق بين الثقافات

في سياق دعوته إلى المثاقفة، أو التفاعل بين الثقافات، والانفتاح على الآخر، وإبراز الذات من دون انصهار أو انغلاق، يعتمد الناقد والباحث المغربي خالد أمين منهجية نقدية تؤكد أن الفن المسرحي لا يعيش إلا في إطار الحوار الفني، والتلاقح الثقافي بين الشعوب، وأي تصور انطوائي محكوم عليه بالموت والانتحار البطيء.

المسرح استفاد من تراث الشرق

عواد علي
كاتب عراقي

في كتابه الجديد "المسرح والهويات الهاربة: رقص على حدّ السيف"، يتناول الناقد خالد أمين رحلة الغرب نحو الشرق بما يمكن تسميته بـ"مسرح المثاقفة". موضحا أن عبارة الهويات الهاربة قد تبدو صادمة للبعض، لكن حينما نحقق النظر في مفهوم الهوية نجدها تفتقد إلى مركز ثابت، بالرغم من إصرارها المستمر على التشبث بالحضور، إضافة إلى تموقعها في فضاء تخومي بيني، يراوح عموما بين الأنا والآخر، وما الهوية إلا نموذج مثالي للأشكال الهاربة والمهاجرة والسريعة التحول وغير المستقرة على حال.

> الناقد يصر على ضرورة الاندماج في الهوية الإنسانية التي لا تتقيد بحدود، في إطار «الهويات الهاربة»

ويشدد الباحث على أن المسرح بدوره يُعد من أكثر الفنون المقاومة لمنطق المتجانس والمطلق، ذلك أنه منذ نشأته الإغريقية الأولى وإلى الآن وهو في ثورة أشكال مستمرة، وبالرغم من وهم الحدود فإنه يتطور تاريخيا من خلال التّبني المحاكاتي، والتبادلات الثقافية بين مختلف الشعوب.

كسر المركزية

ويرى أمين في كتابه، الصادر عن منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة في مدينة طنجة، أن مفهوم المثاقفة غالبا ما يُستعمل للدلالة على التفاعل بين ثقافات مختلفة في التأثير والتأثر، ويلاحظ أن المسرح الغربي بدأ يعيش حالة من "العقم"، وكان عليه أن يفتح نوافذه على الشرق، أو تجارب في اتجاه الشرق، في لقاء مثمر بينهما من أجل بناء حداثة مسرحية غربية. ومن هنا برزت الحاجة للمثاقفة المسرحية في المسرح الغربي، حسب رأيه، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ليس بهدف الانفتاح على الثقافات الفرجوية الأخرى، بل لتجاوز حالة العقم التي عمّت مجموعة من المسارح الأوروبية، وكذلك لحل مشاكل أضحت كاملة في تخوم التقاليد المسرحية الغربية، وخاصة مركزيتها المنكفئة على ذاتها سنين عديدة ضمن قوالب فنية تقليدية لم تعد تؤثر في جزء مهم من الجمهور.

وخلال الفترة الممتدة بين 1954–1965، وهي واسطة العقد بين لحظتين فاصلتين من التاريخ المعاصر لأوروبا، الأولى مشحونة بالاحتقان الناتج عن مخلّفات الحرب العالمية الثانية، والثانية هي أحداث مايو 1968 (المظاهرات والإضرابات واعتصامات الجامعات والمصانع في فرنسا)، أصبحت باريس مركزا ثقافيا كونيا يستقطب أبرز الفرق المسرحية الدولية ضمن المهرجان الدولي للمسرح، الذي كان ينظمه آمون جوليان في مسرح ساره برنار (تطور سنة 1957 ليصبح مهرجان مسرح الأمم تحت إشراف اليونسكو).

لقد اعتمدت فلسفة المهرجان فكرة مصالحة الشعوب من خلال المسرح، والانفتاح على ثقافة الآخر، ولغات العالم، في وقت كانت فيه أوروبا منقسمة على نفسها، وتوصلت في النهاية إلى أن أهم إنجازات المسرح الغربي المعاصر خرجت من معطف الرحلة الشرقية، ويقر بذلك أحد دعاة مسرح المثاقفة الباحث الفرنسي باتريس بافيس، حيث قال في هذا الخصوص "إذا كان ثمة خطاب يجب أن نسعى لتجاوزه فهو التمركز الأوروبي المنكفئ، الذي يجعل من أوروبا حصنا منيعا ضد أي شكل من أشكال المثاقفة مع آخرها".

ويركز الناقد في دراسته على مفهوم "الأنا والآخر"، حيث لا وجود بطبيعة الحال للأنا بمعزل عن الآخر، والمسرح نفسه بؤرة لهذا المفهوم، وفي الوقت ذاته هو ثورة مستمرة للأشكال المسرحية، إذ لا توجد نظرية مسرح ثابتة وساكنة، فكل شيء فيه مبني على استيعاب نظريات مسرح سابقة، وإذا أردنا تجاوزها فلا بد من إجراء حوار إنساني بين الأنا والآخر.

الهجنة المسرحية

يذهب أمين إلى أن استشراف آفاق المثاقفة خارج مدار المركزية الأوروبية كان رهانا إستراتيجيا لحل مشاكل المسرح المعاصر. ويؤكد في هذا الصدد أن عددا من المسرحيين الغربيين انجذب نحو الشرق خلال القرن العشرين، وأن ثمة نزوعا متزايدا لمسارح عديدة من ثقافات مختلفة ومتنوعة لتبني عناصر فرجوية تنتمي إلى ثقافات مسرحية أخرى، وخاصة من المسرح الشرقي.

ويضرب على ذلك أمثلة بتجارب الإيرلندي وليام باتلر ييتس، والفرنسي جاك كوبو، الذي ذهب إلى فضاءات "مسرح النو" الياباني لاقتراح دراماتورجيا جديدة، والإنكليزي جوردون كريك الذي استخدم الأقنعة الأفريقية، والنمساوي/ الأميركي ماكس راينهارت الذي استلهم بعض تقاليد "مسرح الكابوكي" الياباني، في محاولته لإعادة النظر في الترتيب المسرحي البرجوازي قبل تلميذه الألماني برتولد بريخت الذي تأثر، أيضا، بجماليات الأداء الشرقية.

يهدف أمين، في دراسته هذه، إلى تقويض نزعة التمركز الثقافي حول الذات والوطنية للعبور صوب التلاقي بين الجغرافيات والثقافات والقوميات، وتأسيس أفق إنساني يتحرر من وهم الانتماء المنغلق المعادي للتبادلات الرمزية.

وقد أخضع مشروعه النقدي الموسوم بـ"الهجنة المسرحية" للنقد والمراجعة لأن مفهوم "الهجنة" يشير إلى التشابك المعقد الذي يتعذر معه التمييز بين ما هو ملك لنا وما هو ملك لغيرنا من جهة، ويتيح الاهتمام بالاختلاف الثقافي بدل التعدد الثقافي، ويؤسس للفضاء الثالث أي الفضاء البيني، خاصة أن الهجنة تغرّب تاريخ الثقافات، وتنزعها عن سياقها المكاني واللغوي والجغرافي، وتقدف بها إلى مفهوم معولم يحجب الخصائص المميزة للثقافة والهوية، كما أنها تكريس لهيمنة النموذج المسرحي الغربي بدل تقويضه، مادام يسمح بإمكانية عزل الفرجة عن بعضها البعض، ومن ثم إبراز أصولها الثقافية، مما يفضي إلى بزوغ رؤى تعتد بالنقاء الثقافي.

ومن هنا يصر الناقد خالد أمين على ضرورة الاندماج في الهوية الإنسانية التي لا تتقيد بحدود، في إطار "الهويات الهاربة" التي تقيم بين الأوطان وتتحرر من الأماكن، لتسقط بذلك المسميات المنتجة للفرق. ومن ثم الدفاع عن الثقافة الإنسانية خارج المنظور الثنائي الذي فرضته مركزية النموذج المسرحي الغربي، وأعاد تأسيسه بعض رواد المسار التأصيلي العربي.

يذكر أن خالد أمين حصل على الدكتوراه عام 2000 عن تناولات شكسبير في المسرح العربي، ثم التحق إلى التدريس في جامعة عبدالمالك السعدي بتطوان، وجامعة نيو إنكلند في طنجة.

وسرعان ما تطورت إسهاماته لتخرج من النطاق الأكاديمي إلى فضاء التنشيط المسرحي، فأسس المركز الدولي لدراسات الفرجة الذي أنتج في ما بعد المهرجان المسرحي الدولي السنوي "فنون طنجة المشهدية"، وتوسع بتعاوناته الدولية وإسهاماته البحثية ليصبح ضمن المجلس الاستشاري لأهم المراكز البحثية المسرحية في ألمانيا وهو "المركز البحثي الدولي لتناسج ثقافات العرض" التابع لجامعة برلين الحرة، الذي أسسته وترأسته إيريكا فيشر ليشت رائدة الدراسات المسرحية الألمانية.

كتاب سعودي يحكي التاريخ الثقافي والفلسفي لعشبة السلام

الرياض – في كتابه "قهوة نامه" يدعو الكاتب والشاعر السعودي عبدالله الناصر، محبي القهوة إلى خوض مغامرتهم مع هذا المشروب، عبر النظر إليها بوصفها "جبلا من المعارف والحكايات المدفونة المدهشة التي تستحق التسلق، ثم بوصفها أداة لاكتشاف الكون بكل تعقيداته".

عبدالله الناصر يستعرض التاريخ المعرفي والفلسفي للقهوة وحكاياتها معتمدا على وثائق ورحلات عديدة

وفي كتابه، الصادر عن دار "روايات"، يصطحب الناصر القراء في رحلة بحث طاف فيها العالمَ من شرقه إلى غربه ليطلع على تاريخ القهوة وعالمها الغامض، ويكشف أسرارا من أرشيف المكتبات الأوروبية، ويتعرف على طرق إعداد القهوة في أميركا اللاتينية، وعلى تفاصيل غريبة تتعلق بها في العالم العرب.

ويوضح الناصر في كتابه الذي جاء في ثمانية فصول تتوزع على 221 صفحة، أن الجديد في "قهوة نامه" أنه يتناول بالسرد تشريحا معرفيا تاريخيا وفلسفيا للقهوة، عبر تجربة شخصية في سبر تراث القهوة العالمي المسكوت عنه، والذي أغواه في ما بعد ليتعلم أدق أسرار القهوة عبر دورات متخصصة في التحضير والتحميص ومهارات التذوق الاحترافي، وعبر رحلات خاصة لمقاهي العالم الحديثة والقديمة.

وحول إمكانية إدراج الكتاب في سياق العمل الصحافي الروائي، طالما أن الكاتب اعتمد على وثائق ورحلات ليرصد حكاية القهوة. يقول الناصر "هذا الكتاب ليس عملا صحافيا استقصائيا خالصا كما يمكن بسهولة تصنيف كتاب الشيف الأميركي جيف كويلر 'حيث تنمو القهوة البرية'".

ويضيف "صحيح أنني أجريت –خلال أسفاري ورحلاتي إلى المقاهي– حوارات عديدة مع العديد من المختصين بالقهوة ومحبي القهوة، إلا أنني لم ألتزم بالمنهج الصحافي الاستقصائي". ويتابع الناصر بقوله "الوثائق التي تفتّحت عليها عيناي في مكتبة الكونغرس، على سبيل المثال، ساهمت في اكتشافي لمناطق جمالية وتاريخية تتعلق بارتباط القهوة بالثقافة الكونية منذ خمسة قرون، وكيف ارتبطت القهوة تاريخيا بالكتابة والموسيقى والفلسفة والعلوم التجريبية وعلم الاجتماع، وكيف صاغت القهوة خارطة العالم الحديث، وقبل ذلك كله كيف التصقت كعشبة سلام بروح الإنسان البسيط وشقائه العادي".

ويروي الكاتب في روايته كيف سار في طرقات بيوت القهوة التاريخية وتنقّل بين الحجاز والقاهرة ودمشق وإسطنبول وفينا ولندن وباريس وبرلين وبوسطن ونيويورك وعواصم الفايكنج، وصعد جبل القهوة قارئا ومحبا وتتلمذ في مدارسها، وعمل نادلا في أيام الإجازات القصيرة ومُعلم تحميص، وقرأ في تاريخ الحب والحرب والعقائد والفلسفة والفنون المرتبطة بالقهوة، وقرأ في كل شيء كي يعرف القهوة فعرف كل الأشياء وتيقن في النهاية أن "لا أحد يصل إلى القهوة".

ويفسّر الناصر العبارة الأخيرة بقوله "رغم كل ما كُتب عن القهوة وأسرارها منذ أكثر من خمسة قرون، ورغم نجاحنا أخيرا في معرفة تسلسل الحمض النووي للقهوة العربية ورسم خارطتها الجينية، إلا أننا ما زلنا نحب معرفة كل ما يتعلق بالقهوة".

ويضيف "لقد كتب الكاتب الأميركي ويليام أوكيرز في منتصف القرن العشرين كتابا أسماه 'كل شيء عن القهوة'، جاء في زهاء ألف صفحة، لكننا اليوم نعلم أن ما كتبه 'ليس كل شيء'، فقد فاته الكثير".

ويستعرض الناصر التاريخ المعرفي والفلسفي للقهوة موضحا "أسرار القهوة الكثيرة هي ما تجعل هذا المشروب قادرا على اختطافنا كل يوم. هذا التجدد والثراء والتنوع والتعقيد والروح البرية المتمردة التي تتميز بها القهوة وسلالاتها وطرق استخلاصها يجعل منها سرا يبحث عنه الجميع، ولا يصل إليه أحد بشكل كامل".

يشار إلى أن الناصر شاعر ومترجم، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مانشستر بالمملكة المتحدة، صدر له كتاب شعري بعنوان "جثث في ثياب الخروج"، وعمل في الصحافة السعودية.

ملايين الكتب متاحة مجانا لقراء العالم

الشارقة – انسجاما مع الإجراءات الاحترازية والوقائية التي تتخذها دولة الإمارات العربية المتحدة لمواجهة فايروس كورونا، أعلنت إدارة "مكتبات الشارقة العامة"، التابعة لهيئة الشارقة للكتاب، عن فتح مكتبتها الإلكترونية "مجانا"، لجميع الأفراد والفئات العمرية في مختلف أنحاء العالم لمدة 3 أشهر، بدءا من أبريل حتى يونيو 2020، مقدمة 6 ملايين كتاب ومصدر معرفي إلكتروني، بأكثر من 10 لغات مختلفة.

وتتيح مكتبات الشارقة الوصول إلى مكتبتها الإلكترونية عبر التسجيل على الرابط الإلكتروني لها، ليكون القراء أمام 21 ألف محتوى علمي، وأكثر من 30 ألف مكتبة فيديو في شتى المجالات والتخصصات، إلى جانب 160 ألف كتاب إلكتروني، و5 ملايين رسالة جامعية عالمية، إلى جانب عدد من المخطوطات، والكتب النادرة، والكتب الإلكترونية والصوتية.

وفي هذا الصدد، أكد أحمد بن ركاض العامري، رئيس هيئة الشارقة للكتاب، أن مكتبات الشارقة العامة توفر مصادر المعرفة والتعلم لمختلف فئات المجتمع، وتشكل فرصة أمام القراء من مختلف أنحاء العالم للاستفادة من أوقات فراغهم في ظل الإجراءات الاحترازية التي تتخذها الدول، وتأكيدا على أن الحراك الثقافي والمعرفي متواصل ويمكن أن يتضاعف في ظل الخيارات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة.

وأضاف العامري "هذه المبادرة التي تأتي في عام الاحتفاء بالشارقة العاصمة العالمية للكتاب 2019، هي دعوة من إدارة مكتبات الشارقة العامة للمطالعة والتعلم، تعبّر من خلالها عن توجهاتها في الاستفادة من أحدث خيارات القراءة والبحث المعاصر، فجهود مضاعفة المصادر الإلكترونية لمكتبات الشارقة العامة بدأت منذ سنوات، وتجسدت بعدة شراكات واتفاقيات تعاون مع كبرى المكتبات العالمية، أثمرت عن توفير 6 ملايين مصدر معرفي".

مكتبات الشارقة
Sharjah Libraries
هيئة الشارقة للكتاب
Sharjah Book Authority

المكتبة الإلكترونية توفر لزوارها 6 ملايين كتاب ومصدر معرفي إلكتروني بأكثر من 10 لغات مختلفة